القيمُ الوطنيةُ عند الشعراء العباسيين
دراسة تحليلية

م.د. جواد عودة سبهان

National values of the Abbasid poets
An analytical study

Lecturer Dr. Jawad Odeh Sabhan

الملخّص

يهدفُ البحثُ إلى الكشف عن القيم الوطنية عند الشعراء العباسيين، بوصفها تمثّل رمزاً سامياً ومثلاً أعلى يحرص عليه الشاعر العباسي، وهي ما تزال الى يومنا هذا على جدّتها وطرافتها، وما نزال نحن في أشد الحاجة إليها وإلى منْ يبعثها فينا، ويعمل بها صادقاً مخلصاً، وعليها كان مدار البحث وقطب رحاه.

الكلمات المفتاحية:

مظاهر القيم الوطنية – الحنين إلى الوطن – التغنّي بحب الوطن – الذود عن ثغور الوطن.

Abstract

The research aims to reveal the national values of the Abbasid poets because they represent a supreme symbol and ideal example that the Abbasid poet is keen on. it is still to this day on its novelty, which we are in the greatest need for it and for those who inspires it for us and who works with it honestly and sincerely. Hence, it was the focus of this research and the pole of its interest.

المقدمة

شكّل موضوع القيم الوطنية المتمثّلة بالحنين والشوق والذود عن ثغور الوطن جزءاً مهماً في شعر شعراء ما قبل الاسلام، ولاسيما في مقدمات قصائدهم[١]، مثلما انطوت بعض مقدماتهم الأخرى على كثير من الشوق والحنين، كمقدماتهم الطللية والغزلية، وفي صدر الاسلام دّبج كثير من الشعراء قصائدهم بالحنين إلى الدمن والديار، والاشتياق إلى الأهل والاحباب، ولاسيما في شعر الفتوح الاسلامية[٢]، مثلما ترك بصمة متميزة في شعر العصر الأموي[٣]، ولشعراء العصر العباسي في هذا الموضوع ما يشار إليه بالبنان، فقد اكثر الشعراء من هذا اللون الشعري، وقالوا فيه شعراً رقيقاً يفيض بالعاطفة[٤]، ويعبّر عن رهافة حّسه، وفيض مشاعره.

من هنا ازدادت أهمية القيم ومكانتها، بوصفها المدخل المنطقي لصياغة الوجدان الوطني لأجيالنا العربية، فضلاً عن أنَّها من الكمالات الدائمة التي لا تذهب أبداً ولا تزول مع تطور البيئة لما تميزت بها من غايات نسعى لتحقيقها، أو أهداف ينبغي التوصّل اليها، وهي خلاصات نظرات قيمة بأسلوب أدبي شعري، ومتلبسة بلباس عقلي، ومعبّرة عن الشعور الوطني. كما جاء وصفها على ألسنة الشعراء من خلال موروثهم الشعري، وهم يستوحون من قيمهم التي يسعون لتحقيقها دلالات قيمة، تؤدي وظيفتها الوطنية وتدعو لتحريك وجدان الانسان الوطني لملامسة عالم الفضيلة وتحري السلوك الأفضل في سيرته الوطنية قولاً، وممارسة، وتفكيراً. فضلاً عن كونها من الموضوعات الشعرية الموظفة للتعبير عن الحسّ العاطفي لدى الانسان تجاه من يحب، ولعل في هذه المعاني تكمن الدوافع التي وجهتني لاختيار موضوعي (القيم الوطنية عند الشعراء العباسيين).

ولكي يكون البحث موضوعياً، فإنَّه لا بد من معرفة الجهود السابقة وما قدمته من معالجات تلمس هذا الموضوع. إذ إنَّ معظم الدراسات التي تناولت شعر هذه الفترة، لم تفرد لها دراسة مستقلّة لذاتها، بل كانت تعالجها بشكل متصل مع شعر العصر. ومن هذه الدراسات ما تمت على أيدي باحثين مشهود لهم بالقدرة على معالجة قضايا الأدب وفنونه. فالشكعة مثلاً تحدث عن القيم الأخلاقية في كتابه (الشعر والشعراء في العصر العباسي).

كذلك بحث الاستاذ هدارة الحنين الى الوطن ضمن موضوع الاتجاه الانساني والذاتي في كتابه (اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري). أمَّا ثريا عبد الفتاح فقد ذكرت القيم الروحية التي تمثّلت في الشعر العباسي ضمن الشعر العربي في كتابها (القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه)، هذا ما اطلعت عليه من الدراسات وقد استفدت منها إلاَّ أنَّها كما نرى تصف غرضاً محدداً من القيم وتبيّن قيمتها الاجتماعية وأهميتها في التركيب الاجتماعي مع سياق ما يريدون عرضه، ولم يقصد احد منه القيم الوطنية بذاتها ولا عمد الى دراستها من باب الشعر، إنَّما جاء حديثهم عرضاً مربوطاً بنسق الموضوعات التي يدرسونها، فأخذ كل باحث ما يخدم غرض دراسته من زاوية تهمّه.

أَمَّا المنهج الذي اتبعه الباحث في الدراسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي في انتقاء القيم، ودراستها، وتحليليها ومناقشتها مناقشة موضوعية علمية.

ولذا فقد تطلّب الايفاء بجوانب الموضوع دراسته وفق منهج تمثّل بمقدمة ومباحث ثلاثة وخاتمة، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وكان تفصيل ذلك على النحو الآتي:-

- المبحث الاول: الحنين إلى الوطن.

فقد خصص لدراسة التعريف بالحنين كقيمة وطنية عليا ترمز إلى حب الوطن في بلورة الشعور العاطفي تجاه مسقط الرأس.

- المبحث الثاني: التغنّي بحب الوطن.

فقد كُرّس هذا المبحث لدراسة القيم المتمثّلة للتغنّي بحب الوطن في صياغة الوجدان الوطني لأجيالنا العربية.

- المبحث الثالث: الذود عن ثغور الوطن.

تكفّل هذا المبحث بتسليط الضوء على القيم الوطنية المعبّرة عن شخصية الفارس العربي المتمثّلة بالفتوة العربية في أخلاقه ومزاياه وفي دفاعه عن الوطن.

- خاتمة البحث.

فأوجزت افكار البحث، وما توصل إليه من نتائج.

المبحث الأول: الحنين إلى الوطن

جاء في لسان العرب ((الحنين: الشديد من البكاء والطرب)) وقيل: هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح، والحنين: الشوق وتوقان النفس والمعنيان متقاربان. وحنت الأبل: نزعت إلى أوطانها وأولادها، والناقة تحنّ في إثر ولدها حنيناً تطرب مع صوت وقيل حنينها نزاعات بصوت وغير صوت، والاكثر أنَّ الحنين بالصوت، وتحننّت الناقة على ولدها:

تعطفت[٥].

وقد اتخذ الحنين قيمة وطنية ترمز إلى الوطن، والشوق للإنسان، فامتزجا وصار كلاً موحداً يعني الوطن وساكنيه. وممّا جاء عن الحنين في الأقوال المأثورة: إذا شئت أنْ تعرف وفاء الرجل، وحسن عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمانه[٦].

ومنذ أنْ لامس الانسان الارض ومسّ جسده التراب، تأصّل حبها في نفسه، وتجسّد إحساسها في وجوده تجاوباً وتآلفاً، لأنّه عرف فيها طعم الاستئناس، ووجدت في طياتها الحنو والرعاية.. فكان الوطن حكاية لكل ما يسمعون ولوناً لكل ما يبصرون، وحساً لكل ما يفعلون ويعقلون تعالت نغماته في أعماق الذات وتحركت أصداؤه في حنايا النفس[٧].

والانسان منذ أنْ خُلق اجتماعيا و سبيل بطبيعته، يحب وطنه ويتمسك به، ويلتزم بالذود عنه وهو يشعر بالراحة والاطمئنان حين يكون بين أهله وأحبته، وقديماً قال بعض الفلاسفة: ((فطرة الرجل معجونة بحب الوطن، ولذلك قال بقراط: يُداوي كل عليل بعقاقير أرضه..."وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه، كما تتروح الأرض الجدبة ببلل القطر)) [٨].

وممّا يؤكد حبّ الأوطان " قول الله عز وجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها في قلوب عباده، فقال: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ)[٩]، فسوّى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم "[١٠] وحين تعصف بالإنسان صروف الدهر، وتشتدّ عليه عاديات الزمن يجد في حديث الحنين سبيلاً لتخفيف الأحزان ووسيلة لتحقيق السلوان.

والحنين نزعة انسانية عريقة عرفتها الشعوب، وذاقت طعمها مواكب الانسانية، وهي تتحمّل غصصها، وتكتوي بلهيب شوقها؛ لأنّهُ من علامة الرشد أنْ تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها توّاقة، فالإنسان الذي اعتاد رؤية الأرض وتنسم أريج الدار التي نشأ بها أيام الصبا، وعاش في ربوعها لحظات الطفولة والصحبة لا تفارق ذاكرته ولا تغيب عن مخيلته[١١].

وقد تميّزت العرب عن غيرها من الأمم بالتعلّق الشديد بأوطانها. وهي أمة حباها الله تعالى بالكثير من رهافة الحس، ورقة الشعور. فكانت العرب اذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلادها رملاً وعفراً تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع[١٢].فأحبّ العربي الأرض التي عاش فيها سواء أكانت قاحلة ام منبتة، جميلة ام غليظة؛ لأنها رافقت عهداً من عهود حياته وعرفت شطراً من أيام عمره، فحن إليها، وهو بعيد واشتاقها وهو غريب، فأنشد فيها شعره حنيناً وحرقة، وامتدح فيها الخير والبركة والنعيم لا؛ لأنّها ذات خير وبركة ونعيم حقاً، بل لأنّها قطعة من عمره فحسب. وما قول أبي تمام (ت٢٣١هـ)، (من الكامل):

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحبَّ إلا للحبيب الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبداً لأول منزلِ[١٣]

إلاّ صرخة تذكّيها عوامل الحنين والشوق إلى الوطن لاسيما حنينه لأول منزل مؤكداً ذلك باستعماله (كم) الخبرية في قوله: (كم منزل في الأرض... وحنينه أبداً لأول منزل) للدلالة على الكثرة.. كثرة المنازل. لكن الحنين يبقى للمنزل الاول، وهو مسقط الرأس إذ يتركّز حنينه إليه.

وعوف بن محلم الخزاعي لا يخفي مشاعر الحنين إلى أهله في رأس العين، وهو مرافق لعبد الله بن طاهر بن الحسين في إحدى أسفاره الى خراسان (من الطويل):

أفي كُل عام غُربةٌ ونزوحُ
أما للنوى مِنْ وَنْيةٍ فتريحُ
لقد طَلَّحَ البينُ المُشِت ركائبي
فهَل أَرَيَنَّ البَينَ وهُو طَليحُ
وذكرني بالري نوح حمامةٍ
فنُحتُ وذو الشجو الحزين ينوحُ
على أنّها ناحتْ ولم تذرِ دمعةً
ونحتُ أسرابُ الدموع سفوحُ
ونَاحت وفرخاها بحيث تراهما
ومِنْ دون أفراخي مهامه فيحُ[١٤]

فقد وظّف الشاعر أسلوب الاستفهام (في كُلِ عام) في صدر أبياته ليخدم به المعنى العام الذي ينشده، بسبب ما يقدّمه هذا الأسلوب من عنصر الإثارة والاقناع في ذهن السامع، اضافة إلى الحنين الذي جاء عن طريق تكرار الألفاظ (ناحت، البين، نوع، النوى، نحتُ) فالشاعر أراد أن يعيد ايحاءات الألفاظ من خلال تكرارها في الأبيات وذلك؛ لأنَّ (تكرار لفظ ما... يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر والحاحه على فكرة الشاعر او على شعوره اولاً، ومن ثم

فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظته الاولى[١٥].

وأبو نؤاس (ت١٩٨هـ) حين يولي وجهه نحو الفسطاط بمصر، ليمدح والي الخراج بها، يحسّ بالحنين الشديد إلى بغداد إذ المجون قائم على قدم وساق، فصور هذا الحنين بصور مختلفة، من مثل قوله (من الطويل):

كفى حزناً أنى بفسطاط نازحٌ
ولي نحو أكناف العراق حنينُ[١٦]

أراد الشاعر أن يعرب من خلال لفظة (العراق) عن حنينه، الذي شكّل المحور الذي دار حوله البيت، فالعين تشير إلى العزة، والراء تشير إلى الرفعة، والألف تشير إلى الأصالة، والقاف تشير إلى القدم.

وقوله كذلك (من الخفيف):

ذكر الكرخ نازحُ الأوطان
فصَبا صبوة ولات أوان
ليس لي مُسعِدٌ بمصر على الشوق
إلى أوجه هناك حسان
نازلات من السراة فكرخايا
الى الشط ذي القصور الدواني[١٧]

حشد الشاعر في أبياته مجموعة من ألفاظ الحنين التي تظهر بجلاء مدى حنين الشاعر، وهي (نازح الأوطان، صبى صبوة، الشوق، أوجه حسان)، وقد عبّر الشاعر بها عن عاطفته المتوهجة، وأحاسيسه الجياشة التي تداعب الوجدان.

ويبقى شوق ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) يحمل دلالات الوفاء لدار بنهر الكرخ ترك فيها لباناته وأوطاره، من عهد عامين بعد أنْ كان يلهو بها ويرى الظباء الآدم سانحة فحن لذلك وقال (من البسيط):

سقياً لدار بنهر الكرخ من دارٌ
تركتُ فيها لباناتي وأوطاري
من عهد عامين لم ألمم بساحتها
دارت عليها رحى الدُنيا بأطوارِ
كم فيك يا دارُ من عصرٍ لهوتُ به
يا ليته لي من عُمري بأعصارِ
يرون فيها الظباء الآدم سانحة
يشبهن شراً بأعناق وأبصارِ[١٨]

نلحظ لفظة (يا دار) منبعها الوفاء، إذ إنَّ علم النفس يشير إلى حالة دقيقة في علاقة المكان في الشعر بالعامل النفسي، لذا نلحظ أن الشاعر قد جمع في أبياته بين الدار والظباء السانحة، فلا بد أنه كان مدفوعاً بدافع نفسي؛ لانّ الدار أسلوب غير مباشر للحديث عن سرائر النفوس وأفاعيل الهوى وسبيل لتذكير الشاعر بأحبته[١٩].

ومثل هذا الاحساس نجده ونشعر به، في قول العباس بن الأحنف (ت ١٩٤هـ) يعبّر عن نزوحه حيث أمسى يحلّ بلاداً غير وطنه، وهو يزداد شوقاً ووفاءً لها كلما نزحت به دارُ(من البسيط):

ونازح الدار أقى الشوق عبرته
أمسى يحل بلاداً غيرها الوطن
يزداد شوقاً إذا دار به نزحت
فما يغيره عن عهده الزمنُ[٢٠]

وهذا يعني أَنَّ النزوح هو من أهمّ بواعث الشوق والحنين في نفس الشاعر، وهذا ما أشار اليه القرطاجي بقوله: ((ولما كان احق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وألافها عند فراقها وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها))[٢١].

ولم تكن صور الوطن وحدها التي تثير فيهم مشاعر الشوق والحنين، فصور حُسن الهواء وطيب الماء، وفتنة الطبيعة، وما كان لهم فيها من هوى يجذبهم إليه هي الأخرى كانت تبعث فيهم تلك المواجع، وهم يتألمون تلك المسافات الشاسعة التي تفصلهم، وما تركه نأيهم في نفوسهم المغتربة من حزن. ولذا فالبحتري (ت ٢٨٤هـ) يحاول أنْ يقدم معادلة بين العراق والشام وليس في وسعه إلاّ الاشتياق إلى برد الشام وريفها (من الكامل):

حنّتْ ركابي بالعراق وشاقني
في ناجرِ برد الشام وريفها[٢٢]

وقولـــــه (من الكامل):

ذكرتنا برد الشام وعيشنا
بين القباب البيض والهضبات[٢٣]

يتجه خطاب الشاعر نحو بنية المكان (برد الشام – الهضبات)، الذي يمتّ الى نفسية الشاعر والايجابية، بتعالقه بروح الوطن ليشهد عاطفة حقيقية تنمو بعمق الاحساس في تجسيد الحنين.

وقولـــــه (من الوافر):

جفوتُ الشام مُرتبعي وأنسي
وعلوةُ خلتي وهوى فؤادي[٢٤]

وتفيض دموع العباس بن الأحنف (ت ١٩٤هـ) مغرداً، وهو يبكي على شجنه عندما انتبه على صوت طائر على شجرة فرأى أَنَّ الذي شاقّه ما شاقّني فربط ذلك الحنين بالطائر الذي يبكي على سكنه من (المديد):

يا بعيد الدار عن وطنه

مفرداً يبكي على شجنهْ
كلما شد النجاءُ به
دارت الأسقامُ في بدنهْ
ولقد زاد الفؤاد شجى
هاتف يبكي على فننهْ
شاقهُ ما شاقني فبكى
كُلنا يبكي على سكنهْ[٢٥]

نلحظ أنَّ الشاعر استحضر المنادى (يا بعيد الدار)، بهذه الطريقة الشخصية الاستعارية واضافة المنادى إلى صفات تدلّ على عمق العاطفة التي تربط المنادى بالمنادى إليه. ولعله أراد بهذا (أنْ يعبّر عن حالة تلهفه وشدة طلبه، فهو بمثابة المستغيث الذي يمدُّ صوته في النداء)[٢٦].

ولا يحس الشاعر بأهمية وطنه إلا عندما يغترب، كما حصل لعلي بن الجهم (ت٢٤٩هـ) الذي أشتدت عليه وطأة الاشتياق حينما غادر وطنه فكانت صور الأهل والجيران والوطن هي التي تبعث فيه تلك المواجع (من البسيط):

يشتاق كُلُ غريب عند غربته
ويذكر الأهل والجيران والوطنا[٢٧]

فقد كرّر الشاعر الواو في عجزّ البيت ثلاث مرات بوصفها أداة من أدوات الربط، أمّا دورها فللدلالة على تكدس آثار الشوق لذكر الأهل والجيران والوطن في نفس الشاعر.

ويتخذ الحنين إلى الوطن مساراً يتخفّى الشاعر تحت مسمّاه الأصلي، فكنّى أبو فراس (ت٣٥٧هـ) عن حنينه بالحمامة التي حنّت حينما سمعها تنوح على شجرة وهو في أسره (من الطويل):

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ
أيا جارتنا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرتْ منك الهموم ببالِ
أيا جارتا ما أنصف الدهرُ بيننا
تعالي أقاسمك الهموم تعالي[٢٨]

أوحت الحمامة في أبيات ابي فراس الحمداني بمعاني الحنين والشوق ولهذا: (اكتسبت الحمامة جانباً عاطفياً خاصاً)[٢٩]، وبذلك أصبحت العلاقة بين الشاعر والحمامة علاقة تعاطف قائمة على المشاركة الوجدانية التي تربطهما معاً، وهذا تجّسد عند الشاعر حتى أصبح رمزاً دالاً على الفقد والنوح، وتردّد الذكرى والشوق، وعلى الرفيق او الأنيس الذي تعلن الشكوى اليه لاستبكائه معلناً عمق الاحساس بالوحدة والاغتراب والوحشة.

ويسلك مطيع بن إياس السبيل نفسه متوارياً خلف نخلتي حلوان لتُعلنا حنينه (من الخفيف):

أسعداني يا نخلتي حُلوان
وأبكيا لي من ريب هذا الزمانِ
واعلما ان ريبه لم يزل
يفرق بين الالاف والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفُرقة
أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحسا
سوف يلقاكما فتفترقانِ
كم رمتني صروف هذي الليالي
بفراق الأحباب والخُلان[٣٠]

ونلحظ في لفظة النخلتين أنَّ الشاعر ضمنهما معنى شعرياً ايحائياً يختفي وراء ظاهر الجمل والعبارات، ليضفي عليه بعداً دلالياً أعمق من تفسيرها الظاهري، فيشير في هذه إلى ذاته المغتربة، فضلاً عن توجيه عاطفة المتلقي لاستقبال الانفعالات في رسم الدلالة الكلية التي اشتملت عليها الأبيات.

فلا غرو أنْ نجد من النماذج الشعرية الأخرى، التي تفيض وجداً ينساب متدفّقاً من وجدان الشاعر، وتزخر بالإحساس اللاعج الذي يعتصر القلب اعتصاراً، ويكاد يثير العبرات في العيون. ومثل هذا الإحساس نجده ونشعر به في قول علي بن الجهم الشاعر الغريب الذي عبّر عن ندمه إذ فارق أحبته بفراق وطنه، وما الأهل والأحبة إلاّ جسد الوطن (من المنسرح):

وارحمتا للغريب بالبلد النازح
ماذا بنفسه صنعا
فارق احبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا أنتفعا
كان عزيزاً بقرب دارهم
حتى إذا ما تباعدوا خشعاً
يقول في نأيه وغربته
عدل من الله كل ما صنعا[٣١]

فقد وظّف الشاعر مجموعة من ألفاظ الحنين في أبياته وهي (الغريب – الفراق – الأحباب) فضلاً عن استغاثته بقوله (وا رحمتاه للغريب) التي تمثّلت بالاسترحام والاستعطاف كل ذلك استطاع أنْ يؤثّر في العاطفة ويثير فينا الشفقة والرحمة.

ويتعرّض الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) لمعاناة

الغريب في غربته حيث لا له هبة إليها، ولا بعد المضي رجوع إليها (من الطويل):

غريبٌ عن الاوطان لا لك هبّة
إليها ولا بعد المُضي رجوعُ[٣٢]

من التقنيات الموسيقية التي نجد أثرها واضحاً في البيت (الطباق) بما يبعثه من نغم صوتي تحدثه هذه الدلالات المتضادّة ممّا يولّد ايقاعاً خفياً في النفس قوامه المعنى وضده، وذلك في قوله (ولا بعد المضي – رجوع)، فطابق هما بين (المضي – رجوع).

وممّا تقدّم يمكن القول: إنّ الحنين عند هؤلاء الشعراء كان سبيلاً لبث لواعجهم، وما يختمر في قلوبهم من شوق عارم، إلّا أنّنا نلمس اختلافاً في اتجاه هذا الحنين، فمنهم مَنْ اتخذ من الأهل والجيران ومحبيه رمزية لوطنه التي ارتبطت جذور الشاعر بجذوره، ومنهم مّنْ وظف الإيحاء المكاني للدلالة على بعده عن وطنه، والآخر كنّى عن حنينه بالحمامة للدلالة على حبّه المتفاقم، متوارياً خلف نخلتي حلوان لتعلنا حنينهم.

المبحث الثاني: التغنّي بحبّ الوطـن:

ليس التغنّي بحبّ الوطن غريباً عن شعراء القيم الوطنية فهو عاطفة ملتصقة بالوجدان، ومناجاة تنشد فيها حب الوطن ومن فيه وما فيه رائقة تعانق ما في الوطن من جمال وما فيه من احلام تستهوي النفس فلا تملك غير الهيام الطافح، وابن الرومي (ت٢٨٣هـ) يزيدنا تغنّياً في أسباب حب الوطن مبيناً العلة التي يحب لها الوطن فقال (من الطويل):

ولي وطن آليت ألاّ ابيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرخ الشباب ونعمةٌ
كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفته النفس حتى كأنهُ
لها جسدٌ إن غاب غودرت هالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا[٣٣]

الجاحظ، المحاسن والاضداد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ: ١١٨

استعمل الشاعر في تعبيره صورة جمالية متمثّلة بالتشبيه الذي يبدو واضحاً في البيت الثاني والثالث، فشكل التشبيه (كنعمة – كأنه لها جسد) دلالة واضحة في اظهار جمالية استعمال الخطاب من جهة، وتعضيد المعنى من خلال إيراد أكثر من صورة تشبيهية في النص. فكان وسيلة من وسائل الكشف الدلالي، بما يحمله من ايحائية، افهامية، تشبيهية، عاطفية، تلج النفس وترصد مواطن القوة والضعف فيها فتلمسها ناشدة التأثير في الدلالة على قوة الشبه لهذا استعمل الشاعر (الكاف وكأن) وهذا ما أشار اليه ابن طباطبا في قوله: ((فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا))[٣٤]، فضلاً عن اجتماع (الكاف – الدالّ) على التشبيه و(أن) الدالة على التوكيد في (كأن) فهي بذلك اقوى في الدلالة على قوة التشبيه[٣٥].

ويقول كذلك في تصوير جميل للوطن، يتمثّله الشاعر في الضمير، فيرى الشباب وما إلى الشباب من عيش نضير وحياة شابة: (من الكامل)

بلدٌ صحبتُ به الشبيبة والصبا
ولبستُ ثوب العيش وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب تميدُ[٣٦]

أكثر الشاعر في استعماله أداة من أدوات الربط: الواو في البيت الأول: (والصبا – ولبست – وهو جديد). فدور هذه الأداة الدلالة على العيش النضير في نفس الشاعر. ذلك ممّا يثير شوق الشاعر وحنينه، انّما هو مشهد موطنه، فيهيج في نفسه أصدق العواطف وأنبلها إلى ذلك البلد الذي ترعرع فيه بين (الشبيبة – والصبا) وله في بيئته ذكريات الطفولة وأحلام الصبا.

والوطن حيث أقمت من بلد او دار، ولم نجد ما يشترطه اللغويون من كون الوطن مسقط الرأس، ولذا كان الشاعر العباسي ملتصقاً ببيئته، جاعلاً منه وطنه مثل:- الشام، بغداد، الرقة، الفسطاط. ومن هنا نلمس أن نظرة العربي إلى تعريف الوطن والتغنّي به تبدّلت من الأفق الضيق إلى الوطن العربي الكبير، وقد عبّر عن ذلك أبو تمام (ت٢٣١هـ) إذ يقول: (من البسيط)

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا
بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تُشافه بي أقصى خُراسان[٣٧]

ونحن اليوم ننظر بعيني أبي تمام إلى هذا الوطن العربي الكبير من أقصى بغداد إلى الفسطاط ومن الرقتين إلى الشام، وهم يزيدون عن التغنّي بالوطن وما فيه من جمال الطبيعة فلنستمع للبحتري (ت٢٨٤هـ) ينشد أروع الشعر في جمال الشام،

والبحتري شامي يحب وطنه ويعتزّ بسخاء الطبيعة عليه: (من الطويل)

عنيت بشرق الأرض قدماً وغربها
أجوبُ في آفاقها وأسيرها
فلم أر مثل الشام دار إقامةٍ
لراح نُغاديها وكأس نديرها
مصحة أبدان ونزهةُ أعيُنٍ
ولهو نفوسٍ دائم وسرورها
مُقدسة جاد الربيعُ بلادها
ففي كل دار روضة وغديرها[٣٨]

وقولـــــــه: (البسيط)

العيشُ في ليل "دارياً" إذا بردا
والراحُ نمزجها بالماء من "بردى"
أما دمشق فقد أبدت محاسنها
وقد وفى لك مطريها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد
مُستحسن وزمان يشبه البلدا[٣٩]

فالديار محبوبة؛ لأنّها مألف الأحبة وموطن الاصدقاء وموضع الذكريات ولا يكون الحب للربوع اعجاباً بالحجر او الصخر او الراح والماء والشجر، وإنّما يكون لما ينعكس منها بالنفس، وينسكب في الروح ويجري مجاري الدم، فتتجسّم كما يريد الخيال، وتسمو ما يُملي الحب، وهذا هو الوطن، بقربه النعيم، وفي بُعده الجحيم.

الصنوبري (ت٣٣٤هـ) بالوطن، وهو يتغنّى بحلب ووصفها إذ رسم لها صورة يرى فيها الحُسن فيفاخر بها مدن العالم، كما يتغنّى بدمشق، فهو يقول فيها: (من مجزوء الرمل)

أنا احمي حلباً داراً
وأحمي من حماها
أي حسن ما حوته
حلبٌ أو ما حواها
فاخري يا حلب المدن
يزد جاهُك جاها
فلعمري إن تك المدن
رخاخاً كنت شاها[٤٠]

وقولـــــه: (من الوافر)

صَفتْ دُنيا دمشق لساكنيها
فلست ترى بغير دمشق دُنيا[٤١]

ومن الاشارات التي ضمّنها شعراء القيم الوطنية بعداً رمزياً في شعرهم هو ذكرهم لأسماء الاماكن والبلدان: (الشام – بغداد – دمشق – حلب – الرقة – الفسطاط)، وذلك ليتخذوا منها رمزاً إلى حنينهم وشوقهم إلى أوطانهم التي تركوا فيها أجمل الذكريات؛ ((لأنَّ الاسراف في ذكر الاماكن يدلّ على أنَّ للشاعر غاية من ورائها...))[٤٢]، فجاء التوظيف الايحائي لأسماء تلك الاماكن والبلدان توظيفاً منبثقاً من دلالة الشوق والحنين الى اوطانهم وبهذا تحوّلت تلك الاماكن والبلدان من طبيعتها المحسوسة إلى طبيعة الهامية يتأمّل منها الشاعر بعض ذكرياته أو يستحضر ذكريات من سبقه في صياغة ابداعية لموقف من أندر المواقف في حياته[٤٣].

وهذه النماذج تسجّل حضور القيم الوطنية في كل مجال، ورصدها لما يُثير في التغنّي والمحبة والعزة، وما يعمّق الوجدان الوطني ويرفده بزخات انسانية تكمن أهميتها في عمق أثرها في صياغة الوجدان الوطني لأجيالنا العربية بوصفها المدخل المنطقي للوطنية.

وعلى وفق هذا المنظور يمثّل التغنّي صورة من صور التعبير الذاتي عن كوامن هذه المشاعر وهواجسها، لتجسّد مقدرة الشاعر على تحويل الصور الذاتية المخزونة في أعماقه للوطن، وما فيه من جمال الطبيعة ليتخذ منها منطلقاً للتنفيس عمّا يكنّه في داخله من أحاسيس ويعبّر عمّا تجيش به نفسه من مشاعر، وهذا ما أشار اليه ابو تمام إذ تبدلت نظرته إلى الوطن من الأفق الضيق إلى الوطن العربي الكبير.

المبحث الثالث: الذود عن ثغور[٤٤] الوطن:

عرف العرب غزوات الأجانب على وطنهم، فحاربوا الروم وتردّد ذلك في أشعار أبي اتمام والبحتري وأبي فراس والمتنبي وغيرهم، فكانت قصائدهم سجّلاً حافلاً لأمجاد الخلفاء والقادة العرب وهم يخوضون المعارك مع أعداء العروبة من البيزنطيين، في شرقي الدولة العربية وغربها. فالشاعر العربي وهو يرسم صورة البطل والقائد لممدوحه، يعبر عن تعلّق عميق بالقيم الوطنية المتمثّلة بالذود عن الوطن من الروم. وذلك مثل قول بشار بن برد (ت١٦٧هـ) في الخليفة المهدي: (من البسيط)

ولم يدع أحداً مما طغى وبغى
إلا تناولهم بالكف فاحتصدوا
بل لم يكن لجموع المشركين به
ولا يشيعه جول ولا بددُ
سَدَّ الثُغور بِخَيلِ اللهِ مُلجَمَةٍ
وفي الخيول وفي فرسانها سددُ[٤٥]

ولا شك أنَّ أجود الصور التي رسمت للأبطال في هذا العصر قول مروان ابن ابي حفصة (ت١٨٢هـ): (من الطويل)

أطفت بقسطنطينية الروم مُسنداً
إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها
وما رمتها حتى أتتك ملوكها
بجزيتها والحرب تغلي قدورها
وفكت بك الأسرى التي شدت لها
مجالسُ ما فيها حميم يزورها
على حين عيا المسلمين فكاكها
وقالوا: سجون المشركين قبورها[٤٦]

وتأخذ صورة القيم الوطنية، من خلال الممدوح ابعاداً اخرى ترتبط بالأرض والدفاع عنها وحماية ثغور العروبة والاسلام، وبذلك تصبح قضية حماية الثغور من القيم الوطنية، والأمجاد التي تسجّل للممدوح، كما يقول مروان بن أبي حفصة في إحدى مدائحه: (من الطويل)

وما انفكّ معقوداً بنصر لوائه
لَهُ عَسكَرٌ عَنهُ تشَظّى العَساكِرُ
وكل ملوك الروم أعطاه جزية
على الرغم قصراً عن يدٍ وهو صاغر[٤٧]

وفتح عمورية في قصيدة أبي تمام ملحمة من ملاحم البطولة وتجسيد للقيم الوطنية، فالتاريخ فيها شعر والشعر تاريخ بصياغة فنية عالية كما يقول ابو تمام: (من البسيط)

فتح الفُتوح تعالى أن يحيط بهِ
نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخُطبِ
فتح تفتحُ أبواب السماء لهُ
وتبرزُ الأرض في أثوابها القُشُبِ[٤٨]

حمّل الشاعر البيتين لمسات فنية رائعة، فدعم ذلك باستعارته (تفتح ابواب السماء) ليرمي إلى قدسيته، واستعارته تبرز الارض في أثوابها القشبُ، ليبيّن وقعه في أنفس أهل الارض، وظهور علامة الرضا عمّا نتج عن تلك الحرب. وتلك الاستعارات جسّدت معاني النص على مستوييه الديني والعربي؛ لأنّها تخلق واقعاً جديداً أكثر من تقفيتها لما هو موجود سلفاً، وهذا الخلق يؤدي إلى ايجاد مشابهات جديدة ناتجة عن بعض الخصائص التفاعلية المنتقاة وبها ينقل الشاعر المجرد الى المحسوس والميت إلى الحي[٤٩]، والشاعر في صوره الاستعارية أضفى الصفات الانسانية على الأشياء والمظاهر غير الانسانية من جمادات ومعنويات وتجريدات، إذ تبدو تلك الأشياء بصورة مجسّمة تنبض بالحيوية، وهذا ناتج عن مقدرة فائقة في الخيال، وهذا ما رسمه الشاعر في البيتين.

وتأخذ المعركة بعداً تأريخياً عبر التاريخ العربي لترتبط بأيام انتصار العرب الذين أعزّهم الاسلام في معركة بدر، ثم ينتقل الشاعر ليسّجل طبيعة الصراع بين العرب والروم ويصف هذه المعركة يوم انتصار حاسم للعروبة والاسلام على أعدائها فيقول: (من البسيط)

إن كانَ بَينَ صُروفِ الدَهرِ مِن رَحِمٍ
موصولة أوَ ذمام غير منقضبِ
فبين أيامك اللاتي نصرت بها
وبين أيام بدر أقرب النسبِ
أبقَت بَني الأصفَرِ المِمراض كَاسمِهِمُ
صفر الوجوه وجلت أوجه العرب[٥٠]

وعواطفه الدينية بارزة في هذه الأبيات، بل إنَّها تبرز في جنبات الملحمة جميعها، ليهدر فيها هدير الظافر المبتهج الذي تبدّدت أمامه جحافل الأعداء وانجابت غياهب الظلام وحلت مكانها أضواء النصر في كل مكان، وقد قرن أيام المعركة بأيام بدر إذ كانت البارقة الاولى تعاظم فيها الايمان أمام جبروت الشرك والطغيان، فكان الممدوح قد أعاد تلك الكرة على بني الأصفر(الروم)، والذي جعل صفتهم ولونهم خوفاً، ورعباً تقارب ما هم عليه في لونهم الاصفر، على حين رسم للعرب المنتصرين صورة بيضاء مشرقة، برزت فيها وجوههم ناصعة.

وقائمة الأبطال في شعر أبي تمام طويلة، فيها صور القيم الوطنية المعبرّة عن بالبطولة والشمائل العربية، فقائد الثغور والمدافع عنها أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري من القادة الأماجد الذين خلدهم أبو تمام في شعره، وقد أغفل التاريخ دور هذا القائد الذي قاد غزوة إلى القسطنطينية وبلغ أسوارها ووصف أبو تمام هذا الانتصار في قوله: (من الكامل)

لولا جلاد أبي سعيد لم يزلْ
للثغر صدر ما عليه صدار
قدت الجياد كأنهن أجادل
بقرى درولية لها أوكار
حتى التوى من نقع قسطلها على
حِيطانِ قُسطنطينةَ الإعْصارُ
أوقدت من دون الخليج لأهلها
ناراً لها خلف الخليج شرار
إلا تكن حصرت فقد اضحى لها
من خوف قارعة الطريق حصار

لو طاوعتك الخيل لم تقفل بها
والقفل فيه شباً ولا مسمار[٥١]

ويتابع الشاعر البحتري (ت٢٨٤هـ) انتصارات ممدوحه، ويرى فيها مجداً شامخاً كما يسّجل أمجاد القبائل العربية التي شاركت في الدفاع عن أرض العروبة، ويرسم صورة رائعة للبطل العربي فيقول في مدح الثغري: (من الكامل)

بزَّ الملوك تكرماً وتفضلاً
وأحان من نجم الصباح طلوعا
مستيقظ الأحشاء أصبح للعدى
حتفاً يبيد وللعفاة ربيعاً
متتابع السراء والضراء لم
يخلق هيوبا للخطوب هلوعاً

ديوان أبي تمام، ضبط شاهين عطية، بيروت، المطبعة الادبية، ١٨٨٩: ص٤٠.

ويشير الى انتصاراته على الروم في قوله: (من الكامل)

لَمّا رَمَيتَ الرومَ فيهِ بِضُمَّرٍ
تعطي الفوارس جريها المرفوعا
كنت السبيل الى الردى إن كنت في
قبض النفوس الى الحمام شفيعا[٥٢]

ديوان أبي تمام، ضبط شاهين عطية، بيروت، المطبعة الادبية، ١٨٨٩: ص٤٠.

وفي مديح البحتري لممدوحه يشير إلى هجومه على الروم وبذلك يرسم الصورة التي يجب أن ترتسم للممدوح بالذود عن ثغور الوطن، فهو يقول: (من الكامل)

بكرت جيادك والفوارس فوقها
بالمشرفية والوشيج الذبلِ
غُراً محجلة تحاول وقعه
بالروم في يوم أغر محجلِ
وأظنّ أنك لا ترد وجوهها
حتى تُنيخ على الخليج بكلكلِ[٥٣]

وتبدو عواطف البحتري العربية وهو يسجّل مفخرة من مفاخر ممدوحه وهو يصف جيشه الذي هاجم وحفظ الثغور: (من الطويل)

وما زالت الأعداء تعلم أنهُ
يجاهدها في الله حق جهادها
أعدلها فرسان جيش عرمرم
عداد حصى البطحاء دون عدادها
كتائبُ نصر الله أمضى سلاحها
وعاجل تقوى الله اكثرُ زادها
فلا تكثر الروم التشكي فإنهُ
يراوحها بالخيل إن لم يُغادها
ولم أر مثل الخيل أجلى لغمرة
إذا اختلفت في كرّها وطرادها[٥٤]

كما كان سيف الدولة في هذه الحقبة صورة للبطل العربي المنقذ والأمل الذي يلجأ اليه العرب، ويرون فيه حمى الثغور والعروبة والمجد كما يصوره الشاعر العربي أبو الطيب المتنبي(ت٣٥٤هـ) فارس الميدان الشعري في التعبير عن الوجود العربي وتحدي الغزاة الأجانب من الروم، في حقبة افتقدت فيها معاني القيم الوطنية المتمّثلة بالذود عن الثغور، فيجد الشاعر في انتصاراته نصراً للأمة كما تجد الأمة في ظله شيئاً من العز والأمن والكرامة كما يقول: (من الخفيف)

ليس إلاك يا علي همام
سيفه دون عرضه مسلول
كيف لا يأمن العراق ومصر
وسراياك دونها والخيول
أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول
وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيك تميلُ[٥٥]

يتوجه الشاعر بخطابه إلى ممدوحه فيقول: ليس من الملوك يعني عرضه بسيفه غير أي أنت الشجاع دونهم، موكداً هذا المعنى في البيت الثاني للتعجّب الذي افاده الاستفهام الانكاري (كيف لا يأمن العراق ومصر) سبيلاً إلى إثبات أمن ديار المسلمين وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك، ولولاك لاستبيحت تلك الديار، ويشير الشاعر في البيت الثالث (انت طول الحياة للروم غازٍ) إلى معنى ينم عن أنَّ غزواته لا تنقطع، موكداً هذا المعنى في قوله (وسوى الروم خلف ظهرك رومٌ) معززاً ذلك بالاستثناء المقدّم سوى ليخلق ذلك الانحراف في الاستعمال اللغوي لأغراض بلاغية قادت الى دهشة المتلقي حينما جعل لممدوحه اعداء، فليس اعداؤك الروم فحسب، وإنَّما اعداؤك كثر فأيهم تقاتل[٥٦].

ولقد كانت معارك سيف الدولة مع الروم ملاحم بطولة تمثل القيم الوطنية والشجاعة العربية كما خلّدها المتنبي، فسيف الدولة ليس بطلاً من بني حمدان ولا حامياً للثغور من غزوات الروم، فهو أيضاً المفاوض والذي يفرض الهدنة بطلب من رسول ملك الروم حينما جاءت الرسل تطلب ذلك: (من الطويل)

إلى كم ترد الرسل عما أتوا لهُ
كانهم فيما وهبت ملامُ
فإنْ كنتَ لا تُعْطي الذِّمامَ طَواعةً
فعوذ الأعادي بالكريم ذمامُ
وَمَن لفُرْسانِ الثغُورِ عَلَيْهِمِ
بتبليغهم ما لا يكاد يُرامُ
كتائب جاءوا خاضعين فأقدموا
ولو لم يكونوا خاضعين لحاموا[٥٧]

يلجأ المتنبي في البيت الثاني (فإن كنت لا تعطي الذمام طواعة...) الى استعمال الجملة الشرطية في التعبير عن المعنى واهمية الجملة الشرطية في هذا الموضع يتأتى من قدرة أدارة الشرط (إنْ) على الربط بين جملتين، ربطاً يجعل معنى الجملة الثانية متصلاً بمعنى الجملة الاولى، وتكون الاداة بمنزلة الربط الذي يقرب معنى الجملتين. وهذا ما نستشفّه من قول المتنبي مخاطباً ممدوحه: إنْ كنت لا تعطي الروم عهداً وصلحاً طواعية فاليعاذهم بك يوجب لهم الذمام الى العهد؛ لأنَّ من لاذ بالكريم وجبت له الذمة، وأنْ كان عدواً: أي فقد حصل لهم ما طلبوا وإنْ لم تعطهم[٥٨].

ويعبّر الشاعر العربي مرة أخرى عن هذا الاحساس، ويدعو سيف الدولة إلى اجابة نداء أهل الثغور: (من المتقارب)

أيا سيف ربك لا خلقه
ويا ذا المكارم لا ذا الشطبْ
بذا اللفظ ناداك أهل الثغور
فلبيت والهام تحت القُضبْ
وقد يئسوا من لذيذ الحياة
فعين تغور وقلب يُجبْ[٥٩]

استعمل المتنبي أداة النداء (أيا سيف) التي تأتي للبعيد، وقد ينادى بها للقريب لأغراض بلاغية كما هنا، ولعل الدافع الى ذلك هو تعظيم الممدوح واحترامه، وهو ليس سيفاً كسائر السيوف. بل هو سيف الله لا سيف الناس، فهو صاحب المكارم لا سيفاً فيه طرائق من سيوف الحديد.

إنَّ ابيات المتنبي المذكورة تدخل صورها وأخيلتها في موضوع واحد يعبّر عن اعجاب المتنبي بشخصية الممدوح وشجاعته المتمثلة بالقيم الوطنية، ولذلك جاءت الأبيات أنشودة انتصار وزهو ورجولة وقوة استطاع من خلالها أنْ ينقل ملحمة عربية قادها سيف الدولة ضد الروم بلغة تصويرية تعتمد الخيال الخلاق وبأسلوب استعمل فيه كثيرا من امكانات اللغة للتعبير عن ذلك الانتصار بشكل دقيق ومقصدية عالية.

ولا يفوتنا أنْ نذكر بأنَّ شعراء القيم الوطنية من ذوي الأصوات العربية الأصيلة المتحدية والمدافعة عن الوجود العربي، فقد أحسوا إحساساً عميقاً بالعروبة وقيمها وتراثها، فكانوا يدركون أنَّ من واجبهم أنْ يمنحوا العروبة لسانهم، وأنْ يعيشوا معها في جهادها الحربي، ونضالها العنيف ضد اعدائها الثائرين عليها وما شك في ذلك، حيث كان يصدر هذا عن شعور متأصل في طواياهم بوحدة العرب مهما اختلفت قبائلهم، فأبو تمام يذكر ممدوحه في توحيد القوى العربية لدحر الأعداء فيقول: (من الطويل)

ضممت الى قحطان عدنان كلها
ولم يجدو إذ ذاك من ذاك من بُد
فأضحت بك الاحياء أجمع إلفة
كما أحكمت في النظم واسطة العقد
ولما أماتت أنجم العرب الدجى
سرت وهي أتباع لكوكبك السعد[٦٠]

استعمل ابو تمام صورة نابضة تؤدي دورها في خدمة المعنى في البيت الثاني (كما أحكمت في النظم واسطة العقد) استعارة تصريحية فقد شّبه ممدوحه بالجوهرة الثمينة التي تتوسّط العقد، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به. وسرّ جمالها توضيح الفكرة برسم صورة لها، لتتكون: (صورة جديدة وغريبة وصادمة[٦١]، فأصبحت الاستعارة ليست مجرد تغيير بالمعنى، بل إنّها تغيير في نمط المعنى وانتقال المعنى المفهومي الى المعنى الانفعالي[٦٢].

وينهج البحتري نهج أستاذه أبي تمام في الذود عن الثغور ومعانيها وقيمها ورجالها، ويبحث عن نماذجها في القادة والرجال، معبّراً عن مشاعره الأصيلة الصادقة. ويؤكد الشاعر عروبته في فخره معرّفاً بنفسه وقومه فهو يقول: (من الخفيف)

إن قومي قوم الشريف قديماً
وحديثاً أبوة وجدودا
نحن أبناء يعرب أعرب الناس
لساناً وأنضر الناس عودا[٦٣]

وظّف البحتري أداة من أدوات التوكيد (إنَّ)، لإثبات المعنى في النفس، فلا سبيل للشاكّ بعد هذا التوظيف نكران ما جاء به البحتري من ادلة واضحة مؤكدة (نحن أبناء يعرب أعرب الناس) معرفاً بنفسه وقومه، أخرجت المتلقي من دائرة الشك واللبس الى دائرة اليقين.

وأبو الطيب المتنبي بإحساسه العربي حريص على قبائل

العرب، يرى فيهم رجالاً للقائد العربي وقوة قائمة أيام المحن والشدائد، ويرى في التفافها حول البطل ترصيناً للنصر والصمود، وهو فخور بها وبثقتها بسيف ابن حمدان: (من الطويل)

فتى لا يرى إحسانه وهو كامل
له كاملاً حتى يرى وهو شاملُ
إذا العرب العرباء رازت نفوسها
فأنت فتاها والمليك الحلاحلُ
أطاعتك في ارواحها وتصرفت
بأمرك والتفت عليك القبائلُ[٦٤]

ولم يفت المتنبي أنْ يمارس بعض التلوينات البلاغية، منها تقسيم حسن بين (وهو كامل، وهو شامل)، وهذا التقسيم ممّا يزيد المعنى وضوحاً وتبياناً. ويعبّر الشاعر العربي مرة أخرى عن هذا الحرص، وهو يقدّر دور القبائل العربية كمعاقل وحصون في وجه الأعداء، ويدعو سيف الدولة الى الرأفة بهم إذا ما تمرّدوا عليه، فهم العشائر والصحاب والنسب يجمعهم تحت خيمة العروبة: (من الوافر)

فقاتل عن حريمهم وفروا
ندى كفيك والنسب العرابُ
وحفظك فيهم سلفى معد
وإنهم العشائر والصحابُ[٦٥]

ويدعو الشاعر ممدوحه الأمير مرة أخرى الى أنْ يعامل القبائل العربية المتمرّدة عليه معاملة الأخوة والرحمة فهم رجاله وفرسانه: (من الوافر)

لهم حق بشركك في نزار
وأدنى الشرك في أصل جوار
لَعلَّ بَينَهمُ لِبَنيكَ جُندٌ
فَأَوَّلُ قُرَّحِ الخَيلِ المِهارُ[٦٦]

وشاعرنا الشريف الرضي رابع الشعراء من ذوي الأصوات العربية الأصيلة المتحسّسة بالوجود العربي وهذا الاحساس العربي له أبعاد وجذور عميقة في حياته الشخصية وتربيته وثقافته وطموحه الذي امتد ليأخذ بُعداً عربياً، ورأى في نفسه حقيقة أو خيالاً بطلاً منقذاً للعرب من الذل والهوان، وقد فجرّ هذا الإحساس في نفسه عوامل عدة تبدأ بنسبه العريق، فهو عربي هاشمي أجداده لأبيه وامه من آل البيت (عليهم السلام)، وهو فخور بهذا الانتماء معتز به: (من البسيط)

المجدُ يعلم أنْ المجد من أربى
ولو تماديت في جدّ وفي لعبِ
إنِّي لَمِن مَعشَرٍ إن جُمِّعوا لِعُلىً
تفرقوا عن بني أو وصي نبي[٦٧]

نلحظ ومضة فنية في البيتين، فقد كرر الشاعر حرف النون (٨) مرات، لذا نشأ عن تردّد هذا الصوت نوع من الموسيقى ترتاح اليه الأذن وتميل إليه، فضلاً عن أنَّ صوت النون في مقام الفخر يزيد من حدته ويضاعف من وقعه على النفوس. لهذا أنماز الشريف الرضي بذائقة صوتية تستهوي حرف النون أكثر من غيره.

ويؤكد الشريف الرضي على العروبة بوصفها من عنوان المجد في أهله، فهذا الانتماء ذروة المجد والفتى العربي هو القائد والفارس والبطل: (من الوافر)

ومن شيم الفتى العربي فينا
وصال البيض بالخيل العراب
له كذب الوعيد من الأعادي
ومن عاداته صدق الضراب[٦٨]

ومن خلال ملاحظة ألفاظ هذا المحور تبيّن لنا أنَّ ألفاظ الشعراء في هذا المجال هي من ألفاظ الحرب والسلاح (خيل الله، القنا، الخيول، النار، البيض، القُضب، الشُطب، الابطال، لاردى، الحِمام، الابطال، الفوارس، الفرسان، العساكر، الثغور، السرايا، جيش العرمرم، الكتائب) ومنها صفات تراد منها قيمة المعنى مثل (النار)، ومنها الفاظ الجيش وصفاته مثل (الأبطال، الفوارس، الفرسان، العساكر، الثغور، السرايا، جيش عرمرم، الكتائب)، ومنها ألفاظ دالّة على عدة الحرب مثل (السيف، القنا، القضب، الشطب، الخيل)، وقد تنبثق من الحرب ألفاظ اخر

تشير الى نهاية حياة الفارس، منها ما ورد (الردى، الحمام، الموت)، وعليه أرادوا بهذا الاستثمار لألفاظ الحرب أنْ يبنوا فضيلة الانتصار التي تحققّت على الروم فضلاً عن عزة النفس، وإنَّ مواجهة الحتوف أهون لدى كبير النفس من السكوت على الذل والهوان، وبهذا التعبير عن الحرب نقلوها من الادراك المعنوي الى الادراك الحسي[٦٩].

وواضح من كل ما قدّمنا أنَّ شعر الذود عن ثغور الوطن سيظلّ يحيا حياة متصلة. وكيف لا وقد تغنّى بالبطولة العربية ومجد الأبطال من أمثال سيف الدولة وغيره، لذا فهو صورة فذة للانتصارات التي حقّقها على الروم، الذي سيظلّ يغذّي الأجيال الحاضرة والمستقبلة الغذاء الرفيع الذي وصفنا بعض جوانبه، مجسّداً لها روحنا العربية التي لا تقهر، وأمجاد بطولاتنا على مرّ الزمن وخصالنا الكريمة، ومثلنا النبيلة.

الخاتمـــــــة

١- كشف البحث أَنَّ الحنين قيمة وطنية عليا أصل في تراثنا العربي، ولا عجب في ذلك، فالعربي وفيّ بطبعه ألوف بمنزعه حتى يكاد تاريخه أنْ يكون تجسيداً لشيمة الوفاء، وتمجيداً للغيرة على الوطن، وظهر أنَّ صور الوطن لم تكن وحدها هي التي تثير فيهم مشاعر الشوق والحنين، فصور حُسن الهواء وطيب الماء، وفتنة الطبيعة، وما كان لهم فيها من هوى يجذبهم إليه هي الأخرى كانت تبعث فيهم تلك المواجع

٢- ظهر أنَّ التغني بحب الوطن ليس غريباً عن شعراء القيم الوطنية، فهو عاطفة ملتصقة بالوجدان، ومناجاة تنشد فيها حب الوطن، ومن فيه وما فيه رائقة تعانق ما في الوطن من جمال، وما فيه من أحلام تستهوي النفس، فلا تملك غير الهيام الطافح، كما لاحظنا أنَّ نظرة الشاعر العربي إلى نظرة الوطن والتغنّي به تبدّلت من الأفق الضيق الى الوطن العربي الكبير.

٣- كشف البحث عن البطولة العربية ومجد الأبطال من أمثال سيف الدولة الحمداني وغيرهم، من خلال ذودهم عن ثغور الوطن، كما أوضح البحث عن إحساس شعراء القيم الوطنية من ذوي الأصوات العربية الأصلية المتحديّة والمدافعة عن الوجود العربي بالعروبة وقيمها وتراثها، فكانوا يدركون أنَّ من واجبهم أنْ يمنحوا العروبة لسانهم، وأنْ يعيشوا معها في جهادها الحربي، ونضالها العنيف ضد اعدائه الثائرين عليها، وما شكّ في ذلك، حين كان يصدر هذا عن شعور متأصّل في طواياهم بوحدة العرب مهما اختلفت قبائلهم.

٤- ظهر إنَّ القيم الوطنية التي أحبّها الشاعر العباسي وعبّر عنها أحببناها نحن بمجرد عرضها على الأذن او العين بعد تلك الفترة الطويلة، التي تعاقبت على وجود الشعر العباسي، فمن مّنا لا يحبّ الوطن ؟ وَمنْ مّنا لا يتغنّى بحب الوطن حينما تلوح مناسبة للحديث عنه؟ فتفيض المشاعر بمكنونات الصدور لتعبّر عنه حُباً وحنيناً وعشقاً.

الهوامش:

١- ينظر: تاريخ الادب العربي قبل الاسلام: ٢٦١.
٢- ينظر: ادب صدر الاسلام: ١٢٨
٣- خير شاهد على شعر الحنين في العصر الاموي، قصيدة مالك بن الريب التي حنّ فيها الى وادي الغضا، في غزوته مع سعيد بن عثمان بن عفان لفتح خراسان. ينظر: جمهرة اشعار العرب:٦٠٧، والشعر والشعراء، ج١: ٣٥٣/١ – ٣٥٤.
٤- ينظر الادب العربي في العصر العباسي: ١٢٧.
٥- لسان العرب: ص١٢٩، مادة (حنن).
٦- ينظر: مطالع البدور في منازل السرور، ج٢: ٢٩٢.
٧- الحنين والغربة في الشعر العربي، د. نوري حمودي القيسي: ٢٣١.
٨- الحنين الى الاوطان، الجاحظ: ٨.
٩- سورة النساء، الآية: ٦٦
١٠- الحنين الى الاوطان، الجاحظ: ١٠
١١- ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي، د. نوري حمودي القيسي: ٧٨.
١٢- ينظر: م. ن: ٧٨.
١٣- ديوان أبي تمام، ضبط شاهين عطية: ١٥٧.
١٤- طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز: ١٨٧، وعوف بن ملحم الخزاعي، اديب وشاعر وراوية وسياسي من العصر العباسي الاول، وُلد في بلدة رأس العين في شمال سوريا وكانت ولادته قرابة (١٣٦هـ)، وهو شاعر مقل، مائل الى الوجدانية، ينظر: طبقات الشعراء: ١٨٧.
١٥- المتعاليات النصية في المسرح الجزائري الحديث، خديجة جليلي: ٢٤٠.
١٦- ديوان أبي نؤاس، تحقيق: عبد المجيد الغزالي: ٣٩٩.
١٧- م. ن: ٦٥٣. الكرخ: من ضواحي بغداد، نازح الأوطان: يعبدها، صبا: حنّ، السراة فكر خايا: موضعان في بغداد.
١٨- ديوان ابن المعتز: ٢٦٦.
١٩- ينظر: تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: ٣٣٥
٢٠- ديوان العباس بن الأحنف، د. عاتكة الخزرجي: ٣٠١.
٢١- منهاج البلغاء: ٢٤٩.
٢٢- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي: ١٠٨٨.
٢٣- م. ن: ١٠٧٠.
٢٤- م. ن: ١٠٧١.
٢٥- ديوان العباس بن الأحنف، د. عاتكة الخزرجي: ١٧٨.
٢٦- البلاغة فنونها وافانينها (علم المعاني): ٧٥
٢٧- ديوان علي بن الجهم: ١٥٤.
٢٨- ديوان ابي فراس الحمداني: ٢٦٧.
٢٩- الطبيعة في الشعر الجاهلي: ١٨٩.
٣٠- شعراء عباسيون، غوستاف فون: ٦٩، مطيع بن إياس: من شعراء المجون والزندقة في العصر العباسي، مضى منهمكاً في المجون والخلاعة والشراب والانطراح في مواضع اللذات، وكان يتقن جميع الفنون الشعرية، وانماز شعره بالسلاسة والعذوبة، ينظر: الاغاني: ٢٧٤/١٣، وعيون الاخبار:١٨٢/٢.
٣١- ديون علي بن الجهم: ١٥٤.
٣٢- ديوان الشريف الرضي: ٥٩١.
٣٣- ديوان ابن الرومي: ١٣.
٣٤- عيار الشعر: ٢٧.
٣٥- ينظر: علوم البلاغة: ٢٦٤
٣٦- المصون في الأدب، أبو احمد الحسن بن عبد الله العسكري: ٧٥.
٣٧- ديوان أبي تمام: ١٥١.
٣٨- ديوان البحتري: ص٩٤٣.
٣٩- م. ن، ج٤: ص٢٠٨.
٤٠- نهاية الأرب، النويري: ص٢١١.
٤١- م. ن، ج١١: ص٢١٥.
٤٢- الشعر العربي بين الجمود والتطور: ٣٤.
٤٣- ينظر: الطلل لدى شعراء القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير: ٧٨.
٤٤- الذود: هو المدينة التي تطل على بلاد الأعداء او تقع على حدودهم، وليس من الضروري ان يكون الثغر بلداً يقع على شاطئ البحر كما هو معروف اصطلاحاً في أيامنا هذه، بل ان الثغر قد يكون بحرياً وقد يكون برياً.
٤٥- ديوان بشار بن: ص٢٨٧.
٤٦- مروان بن أبي حفصة وشعره، قحطان رشيد: ص١٠١.
٤٧- م. ن: ص١١٠.
٤٨- ديوان أبي تمام: ص٤٠.
٤٩- ينظر: دينامية النص: ٥٧.
٥٠- ديوان أبي تمام: ص٧٤.
٥١- ديوان البحتري، ج٢: ص٦٣.
٥٢- م. ن: ص٢٩١.
٥٣- م. ن: ص٢٩٤
٥٤- ديوان البحتري، ج١: ص٣٦.
٥٥- شرح ديوان المتنبي: ص٣٤٦.

٥٦- ينظر: شرح ديوان المتنبي: ٢٠٣/٣.
٥٧- شرح ديوان المتنبي: ص٣٩١..
٥٨- م. ن: ٨٣/٤.
٥٩- م. ن: ص٤٣٩.
٦٠- ينظر: تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي): ٧٣.
٦١- نظرية البنائية في النقد الادبي: ٣٧.
٦٢- ينظر: نظرية البنائية في النقد الادبي: ٣٩.
٦٣- ديوان البحتري، ج٢: ص٦٤.
٦٤- شرح ديوان المتنبي، ج٣ : ص٨٩.
٦٥- م. ن: ص٨٩.
٦٦- شرح ديوان المتنبي: ص٢٩٩.
٦٧- ديوان الشريف الرضي: ص٢٩٨
٦٨- م. ن: ص١١٤.
٦٩- نظرية البنائية في النقد الادبي: ٣٧.

المصادر والمراجع

اولاً: القرآن الكريم.

١- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، د. محمد مصطفى هدارة، ط٢، مصر، دار المعارف، ١٩٧٠.

٢- الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٥٤م.

٣- الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل – العراق، ١٩٨٩م.

٤- أدب صدر الاسلام، د. محمد خضر، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.

٥- البلاغة العربية، أساليبها، علومها، فنونها، عبد الرحمن حسن، دار العلم، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٦٦.

٦- تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام، د. نوري حمودي القيسي، ود. عادل جاسم البياتي، ود. مصطفى عبد اللطيف، ط٢، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٠م.

٧- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، د. شكري فيصل، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٨- الحنين الى الأوطان، تحقيق: الشيخ طاهر الجزائري، المطبعة السلفية، ط٢، القاهرة، ١٣٥١هـ.

٩- دينامية النص (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، المركزي الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠- ديوان ابن الرومي (ت٢٨٣هـ)، اقتيار، كامل كبيلاني، مطبعة التوفيق الأدبية، مصر، ١٩٢٤.

١١- ديوان ابن المعتز(ت٢٩٦هـ)، انماء محي الدين الخياط، مطبعة الانفال، بيروت، ١٣٣٢ هـ.

١٢- ديوان ابي تمام (ت٢٣١هـ)، ضبط شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٩.

١٣- ديوان ابي نؤاس (ت١٩٨هـ)، تحقيق عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٣.

١٤- ديوان ابي فراس (ت٣٥٧هـ)، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

١٥- ديوان البحتري (ت٢٨٤هـ)، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، طبع دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢هـ.

١٦- ديوان بشار بن برد (ت٢٦٧هـ)، تحقيق: محمد الطاهر عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠

١٧- ديوان الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، شرح: د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.

١٨- ديوان العباس بن الأحنف (ت١٩٤هـ)، د. عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤ م.

١٩- ديوان علي بن الجهم (ت٢٤٩هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩ م.

٢٠- رسائل الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٥ م.

٢١- شرح ديوان المتنبي (ت٣٥٤هـ)، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط٢، ٢٠٠٧ م.

٢٢- شرح الصولي لديوان ابي تمام (ت٢٣١هـ)، تحقيق: خلف رشيد نعمان، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٧م.

٢٣- شعراء عباسيون، ترجمة وتحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م

٢٤- الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨ م.

٢٥- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥.

٢٦- طبقات الشعراء: عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد، طبع دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.

٢٧- الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د. ت).

٢٨- العصر العباسي الاول، د. شوقي ضيف، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦ م

٢٩- علوم البلاغة، احمد مصطفى المراغي، دار اقلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٣٠- عيون الأخبار، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨.

٣١- فجر الاسلام، أحمد أمين، طبع مطبعة الاعتماد، الرجوع الى ديوان زياد الأعجم، مصر، ١٩٢٨م.

٣٢- القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه حتى منتصف القرن العشرين، ثريا عبد الفتاح ملحس، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤.

٣٣- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨

٣٤- المحاسن والأضداد، الجاحظ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٤ هـ.

٣٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،

الراغب الأصفهاني (ت٤٢١هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).
٣٦- مروان بن ابي حفصة (ت١٨٢هـ) وشعره، قحطان رشيد التميمي، مطبعة النجف، النجف، ١٩٦٦ م.
٣٧- المصون في الأدب، ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠ م.
٣٨- مطالع البدور في منازل السرور، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي، مطبعة ادارة الوطن، القاهرة، ١٢٩٩هـ
٣٩- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧ م.
٤٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين احمد بن الوهاب النويري (ت٧٣٢هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩ م.

ثانياً / الأطـاريح والرسائل الجامعية
١- الطلل لدى شعراء القرن الثالث الهجري، ذكرى محي الدين حميد الجبوري، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤ م.
٢- المتعاليات النصية للمسرح الجزائري الحديث، خديجة جليلي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة محمد الخضر، ٢٠٠٩ م.

ثالثاً / الدوريـــات:
١- الحنين والغربة في الشعر العربي، د. نوري حمودي القيسي، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، العدد الحادي عشر، ١٩٨٢ م.